

تيران وصنافير مصريتان

كاتبة وناشطة مصرية

لا أعلم ما السر وراء إصرار النظام الحالي على إدخالنا جميعاً في حال حزن وتوتر وقلق وترقب؟ هل هذه هي الوسيلة الناجعة للسيطرة على هذا العدد المهول من البشر الذي لم يمض سوى ما يقرب من ست سنوات على قيامه بثورة؟

هل هناك أخصائي نفسي ما نصح النظام الحالي بأنها الوسيلة الناجعة لـ"قصص ريش" المجموع الذي كان قد اكتسب ثقة في نفسه منذ حوالى ست سنوات؟

أحيل القارئ إلى فيلم قصة "إحسان عبد القدوس" وبطولة محمود ياسين وسعاد حسني، وإخراج عاطف سالم، بعنوان "أين عقلي؟". تدور أحداث الفيلم حول بطل يعاني من عُقَد ومرض نفسي، ويريد أن يؤثّر على زوجته ويوهمها بأنها هي من تعاني من مرض نفسي، حيث يوحى إليها بأنها أتت بأفعال لا تذكرها، وقالت أشياء لم تقلها، ويضعها طوال الوقت تحت ضغط نفسي وشك في ذاتها وقدراتها العقلية.

في البداية كان الإنحاء لعاصفة الثورة، والمداراة، والمسايسة. ثم العلاج بالصدمة: واجهوا الإسلام السياسي وحدكم. حتى يتم دفع الناس دفعاً للاستنجاد بالنظام القديم. ثم التشكيك في كل ما قام به الناس، تشكيكهم في أنفسهم، في تحرّكهم، في أغراضهم: كل ما كان مجرد مؤامرة دنيئة، وقد تم استغلالكم، أنتم بلهاء، تحتاجون إلى من يعرف أكثر منكم، لمن يرشدكم، لستم أهلاً للحكم على الأمور. ثم ممارسة بعض الأفعال واتّهام الناس بأنهم يمارسونها:

التشكيك في الناس ثم التساؤل: ليه التشكيك؟ أنتم ليه على طول شاكين ومتشكّكين؟!

و"قولوا لي أنا أسأت لمين"... بمنتهى البراءة! حتى يظنّ الناس أن هناك خلافاً ما في عقولهم.

وأخيراً، تم عقد اتفاقية لتسليم جزيرتين مصريتين، مات على ترابهما آلاف الشهداء، للمملكة العربية السعودية.

وهذه ليست المشكلة الحقيقية، المشكلة الحقيقية أن أبواق النظام استخدمت أسلوباً يثير الهلع في إثبات سعودية الجزيرتين: "تاريخياً الجزيرتان سعوديتان"! تـا... إيه؟ تـا... شو؟ تـا... شنو؟ تـا... إيش؟ تـا... ماذا؟ تاريخياً؟

هذه مصر. يبدأ التاريخ بمصر... ويبدو أنه سينتهي بها، لأن بسبب ما يحدث الظاهر حنقوّم القيامة على البشرية. حمل أحد المتظاهرين لافتة كتب عليها: رجعت للتاريخ عشان أثبت أن الجزر سعودية ما لقتش السعودية نفسها. ثم القبض على مَن يقولون بمصرية الجزيرتين... وهذه ليست المشكلة، المشكلة اتّهام مَن يقول بمصرية الجزيرتين بالخيانة الوطنية!

بصرف النظر عن كون الجزيرتين مصريتين من عدمه، حين أصحو من النوم لأقرّر مثلاً أن باريس تدخل في حيّز الأراضي المصرية.. هل هذا يعني أنني خائنة للوطن؟ هل أستحق الحبس على هذه المقولة حتى لو كانت باطلة أو تنم عن خلل عقلي؟

بعد أن حكمت المحكمة الإدارية بمصرية الجزيرتين، تم تحويل الاتفاقية للتصويت عليها في البرلمان! وما نعرفه هو أن الاتفاقيات - بشكل عام - يتم عرضها على البرلمان قبل توقيعها والالتزام بها أمام طرف آخر، ثم عرضها للاستفتاء، أما أن يتم توقيع اتفاقية بشأن التفريط في أراضٍ مصرية، وبعد التوقيع عليها والالتزام بها، يتم عرضها على البرلمان، خاصة بعد حكم قضائي بمصرية الجزيرتين، فهذا مالا نفهمه حقاً. بالمناسبة هذا البرلمان لا يمثل أغلبية الشعب المصري، لسبب بسيط، أن الإقبال على الانتخابات البرلمانية كان هزئلاً هزائلاً غير مسبوق ولا حتى في فترة حكم مبارك.

الأغرب، أن الانتخابات البرلمانية لاقت هجوماً حاداً من مؤيّدَي النظام، بل إن بعضهم ذهب بنظرية المؤامرة إلى أن البرلمان هدفه تعطيل الرئيس، وتقييد يده، وتكبير حريته في التصرف فينا كيف شاء، وأن الأمر برمّته من تخطيط جماعة الإخوان المسلمين، وأنهم يهدفون للسيطرة على البرلمان. ومن ثم، فلم يشارك مؤيّدو النظام في التصويت على البرلمان لأنه مؤامرة على الرئيس، كما أنه لم يشارك معارضو النظام لأنهم يشعرون بأن الأمر هو مجرد مسرحية هزلية، ولم يشارك أغلب الناس غير المسيّسين في الانتخابات لأنهم مشغولون بغير أفواههم في تيه وذهول. وهذه ليست المشكلة.

المشكلة أنه هناك تسريبات بشكل دوري تتناقض مع بعضها البعض: البرلمان سيصوّت بالرفض على الاتفاقية... وهذه هي التعليمات... لا... البرلمان سيصوّت على قبول الاتفاقية وهذه هي التعليمات... لا... البرلمان سيؤجّل التصويت. طيّب... لماذا تلعبون في عقولنا البخت وتفتحون المندل وتخطّطون الرمل؟ لماذا؟ هل الأمر يحتاج إلى كل هذا الإجهاد والإرهاق والمشاحنة؟

جزيرتان في زمام الحدود المصرية، حارب عليهما المصريون، و متمسكون بهما شأن كل شعب يتمسك بأرضه. لماذا نمنحهما لأي أحد بصرف النظر عن الخرائط والمراسلات والمهاترات؟ هل سمعتم عن بلد في هذا الكون الفسيح يتنازل طواعية عن قطعة أرض بلا مقابل سواء كانت ملكاً له أم لم تكن ملكاً له؟ ويخرج علينا ممثل الحكومة في المحكمة ليقول بملء فمه: مصر كانت تحتل الجزيرتين!

طيّب حتى الاحتلال لا يتنازل عن أراضٍ من دون مقاومة شعبية على الأقل. يقول وزير الدفاع الإسرائيلي يعلنون بأن موافقة مصر على التنازل عن الجزيرتين تم "بإيعاز" من إسرائيل، ثم أشار في لهجة صفيقة قائلاً: ثم إن مصر ستحصل على 16 مليار دولار مقابل تنازلها هذا! طيّب ولماذا لا تحصل أنت على 50

مليار دولار وتتنازل عما سرقت من الأرض؟ هل نحن مرتزقة نبيع قطعاً من لحم أراضينا في مقابل المليارات؟ هكذا تنظر إلينا دولة الكيان الصهيوني التي احتلت أرضاً ليست ملكاً لها ولا ولن تتنازل عنها ولو خيَّرت بينها وبين كنوز الدنيا؟

نحن الآن جميعنا يقع تحت ضغط نفسي هائل بسبب انتظار تصويت البرلمان، هناك من قرّر أن يريح نفسه ويفقد الأمل ويتعامل مع الأرض بأنها راحت وينصب العزاء مبكراً، وهناك من قرّر أن يتشبّث بالأمل ويحدّث نفسه: لا أكيد.. غالباً... يمكن... أن يصوّتوا بالرفض... وهناك من يتأرجح بين القنوط والرجاء. وكلنا يشعر بالعجز بالرغم من أننا سلكنا السبل القانونية، وقطعة من لحم مصر مهدّدة بأن تُستأمل ونحن لا نصدّق أنفسنا بأننا نرفع قضية على الحكومة كي لا تستأمل ما أقسمت على صونه.

مجدداً تم القبض على من شعروا بالغضب من إعادة تهديد أراضيه فنزّلوا بشكل عشوائي للاعتراض. في الواقع نحن لا نعلم كيف ستدوّن هذه الفقرة من حياتنا في كتب التاريخ. "وكان المصريون في دهول تام"، أم سيكون عنوان الفصل: "مقدمات أدّت إلى فقد المصريين عقولهم" ثم يبدأ الفصل: لم يكن المصريون مختلفين عقلياً طوال الوقت كما هم الآن، وإنما كانت هناك عوامل تاريخية وسياسية وسوسيوغرافية أدّت إلى تدهور القوى العقلية لهذا النسل حتى وصل إلى ما وصل إليه الآن، منها:.."

حسبنا الله ونرعم الوكيل.

المصدر: الميادين نت